المتضادة فهذا هو الرجل الكامل الذي لم يقف
مع انبساط سلطان ولا مع زهد عبثي بل
اعطى الاحوال حقها فاعرف ثمن ما اشرت اليه

فصل

مخايل ما يكون من
الرجل تبين للفطن من صغر الطفل وذاك ان
الطفل خلق له ذهن وعقل على مقداره فاذا رايته
يقول للصبيان انا الامير فاعلم انه علو همته واذا رايته
يقول مع من اكون فاعلم خسة همته وكذلك جميع
احواله فانها تدل على عواقب اموره وقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم ياتي وهو صغير الى مجلس جده عبد
المطلب الجد فيقعد في صدره فيقول عبد المطلب
ان لابني هذا شانا وقد كانت الشجاعة تعرف في
ابن الزبير من صغره حتى انه كان يوما يلعب مع
الصبيان وهو صبي فمر رجل فصاح عليهم ففروا
ومشى ابن الزبير القهقرى وقال يا صبيان اجعلوني
اميركم وشدوا بنا عليه ومر به عمر بن الخطاب رضي
الله عنه وهو صبي يلعب مع الصبيان ففروا ووقف
فقال له ما لك لم تفر مع اصحابك فقال يا امير المومنين
لم اجرم فاخاف ولم يكن الطريق ضيقة فاوسع لك

١٣٠

كثيراً من العلماء تعلو همتهم في طلب الحديث ويحبون
الاسفار البعيدة لنيله وقوما في طلب الفقه
والنظر وقوما في طلب القران وقوما في طلب
العربية الى غير ذلك ولو فوتت نفقة هولاي
يعلمون ان الاقتناع باحد هذه العلوم دون غيره
دون فان شرف الهمة يقتضي تحصيل الكل
فاذا لم يكن فالمهم من الكل وترى قوما علت
هممهم وقل علمهم وظنوا ان المقصود التعبد
فاعتكفوا على الصوم والصلوة ورفض الشهوات
وحملوا على الابدان فوق الطاقة وظنوا ذلك
الغاية وكل هولاي بمعزل عن المقصود
وانما المقصود العلم ثم العمل ثم هما مقصودان
لمعنى اخر وهو معرفة الحق عز وجل بهما
ومعاملته وذلك بالقلب قبل القالب وبالسر
قبل الظاهر فلا ينبغي لذي همة ان يقتصر عن
فضيلة ممكنة ولكن لما كان العمر قصيرا وجب
اغتنام المهمات من العلم والعمل والمعاملة
فترى المتيقظ يملا الزمان ويسارع فلا راحة له الا ما
هو فيه من طلب الفضائل القريبة الى الله عز وجل

Copyright © King Saud University